تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول - الجزء الأول

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

١٣٧٤ — ١٩٥٥

أخبار عروة بن الورد

نسبه

وهو عُروة بن الوَرْد بن زيد . وقيل : ابنُ عمرو بن زَيد بن عبد الله بن ناشب ابن هَرِم بن لُدَيم بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيث ابن غَطَفان بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عَدنان .

شاعر فارس

شاعرٌ من شُعراء الجاهليَّة ، وفارسٌ من فُرسانها ، وصُعلوكٌ[1] من صَعاليكها المَعدودين المُقدَّمين الأجواد .

لقبه

ويُلقّب : عُروةَ الصَّعاليك ، لجَمْعه إيَّاهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غَزواتهم ، ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغزًى . وقيل : إنما لُقِّب بذلك لقوله من أبيات :

ولله صُعلوكٌ صَفيحةُ وَجْهه	كضوءِ شهابِ القابسِ المُتنوِّرِ

لعبد الملك فيه

وحُكى أنّ عبدَ الملك بن مَروان قال : ما يَسُرّنى أحدٌ من العرب لم يلدْنى أنّه وَلدَنى إلّا عُروةَ الصَّعاليك بن الوَرد ، لقوله :

إنّى امرؤٌ عافِى إنائىَ شِرْكةٌ	وأنت امرؤٌ عافِى إنائك واحدُ
أتهزأُ منّى أن سَمِنتَ وأنْ ترى	بجسمىَ مَسَّ الحقِّ والحقُّ جاهِد
أُفرِّق جِسْمى فى جُسومٍ كثيرةٍ	وأَحْسُو قَراحَ الماء والماءُ بارد

بين عمر بن الخطاب والحطيئة فى حديث يتصل به

وقال عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه للحُطيئة : كيف كُنتم فى حَرْبكم ؟ قال : كُنّا ألفَ حازم . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً ، وكنّا لا نَعْصيه ، وكُنّا نُقْدِم بإقدام عَنْترة ، ونأتمُّ بشعر عُروة بن الوَرْد ، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زِيَاد .

---

(١) الصعلوك : الفقير . وصعاليك العرب : لصوصها .

لعبد الملك فى جوده

وقال عبدُ الملك : مَن زَعم أنّ حاتماً أسمحُ الناسِ فقد ظَلَم عُروة بن الوَرْد .

نهى ابن جعفر لمعلم ولده عن بيت له

وكان عبـدُ الله بن جَعفر يقول لمُعلِّم ولده : لا تُرَوِّهم قصيدةَ عُروةَ بن الوَرْد التى يقول فيها :

دَعِينى للغِنَى أَسـعى فإنِّى ... رأيتُ النـاسَ شرُّهم الفَقِيرُ

ويقول : إنّ هذا يَدْعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

خبره مع امرأة سباها

ذُكر أنّ عُروة سَبى اُمرأةً وولَدتْ له ، وكانت تُعيَّر بالسِّباء . وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك[١] . وأنّ قومها سَقَوه الخمر ، فلما سَكِر طلبوا منـه أن يُفادِىَ بها ، وأغْلوا له فى الفِداء ، فأجاب . فلما صَحا نَدِم . فشُهد عليه بالفداء، فلم يَقدر على الامتناع . وجاءت المرأةُ تُثْنى عليه ، فقالت : إنّك والله ما علمتُ لضَحوكٌ مُقبلاً ، كَسُوبٌ مُدْبراً ، تُرْضى الأهل والجانب[٢] . ما أعلم اُمرأةً من العرب ألقتْ سِتْرها على بَعل خيرٍ منك ، أغَضَّ طَرْفاً ، وأقلَّ فُحشاً ، وأجودَ يداً ، وأحمَى لحقيقته ، فاُستوص ببَنيك خيراً . ثم فارقتْه . فتزوّجها رجلٌ من بنى عمّها . فقال لها يوماً من الأيّام : يا سَلْمى ،أثْنى علىّ كما أثنيتِ على عُروة — وقد كان قولها فيه شُهِر — فقالت له : لا تُكلِّفنى ذلك ، فإنى إن قلتُ الحقَّ غضبتَ ، ولا واللّاتِ والعُزَّى لا أكذبُ . فقال : عزمتُ عليكِ لتأْتينِّى فى مجلس قومى فَلَتُثْنِينَّ علىَّ بما تعلمين . وخرج فجلس فى نَدِىّ القوم ،وجاءت ، فرماها الناسُ بأبصارهم ، فوقفتْ عليهم وقالت : أنْعموا صباحاً ، إنّ هذا عَزم علىّ أن أُثنى عليه بما أعلم . ثم أَقبلتْ عليه فقالت : والله إنّ شِمْلَتك لالْتِحاف ، وإن شُرْبك لاشْتِفاف[٣] ، وإنك لتنام ليلةَ تخافُ ، وتَشبع ليـلَةَ تُضاف ، وما تُرضى الأهلَ ولا الجانبَ . ثم انصرفت . فلامه قومُه وقالوا : ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها !

---

(١) انظر ص ٣٢٧ من هذا الجزء . (٢) الجانب : الغريب .

(٣) الاشتفاف : شرب كل ما فى الإناء .

كان يجمع إليه الصعاليك

وقيل : كان عُروة بن الوَرْد إذا أصابتِ الناسَ سنةٌ شديدةٌ تركوا فى دارهم المريضَ والكبيرَ والضَّعيف . وكان عُروة يجمع أَشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدّة ثم يحفر لهم الأَسرابَ وَيكنُف لهم الكُنُفَ[(١)] ، ويكسُوهم. ومَن قوِى منهم — إمّا مريضٌ يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثُوب قُوتُه — خَرَج به معه فأغار ، وجَعل لأصحابه الباقين فى ذلك نَصيباً ، حتى إذا أخصب الناسُ وألْبنوا وذَهبت السنةُ ، ألحق كُلَّ إنسان بأهله ، وقَسم له نصيبَه من غَنيمةٍ ، إن كانوا غَنموها. فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَه وقد استغنى ، فلذلك سُمِّى : عُرْوة الصَّعاليك. فقال فى ذلك فى بعض السنين ، وقد ضاقت حالُه :

لعَلَّ ارتيادى فى البلاد وبُغْيَتى ... وشَدِّى حيازيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ
سيَدْفعُنى يوماً إلى ربِّ[(٢)] هَجْمة ... يُدافع عنها بالعُقوق وبالبُخْل

وهى طويلة ، ومنها :

أليس ورائى أن أدِبَّ على العَصا ... فيَشْمَتَ أعدائى ويسأَمَنى أَهْلى
رَهينةَ قَعْر البيت كُلَّ عشية ... يُطيف بىَ الوِلْدانُ أَهْدجَ[(٣)] كالرَّأْل
أَقيمُوا بَنى لُبْنَى صُدورَ رِكابكم ... فكُلّ مَنَايا القوم خيرٌ من[(٤)] الهَزْل
فإنّكُم لن تبلغُوا كلَّ هِمَّتى ... ولا أَرِبى حتى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْل

فقيَض الله له ، وهو مع قوم من هُلّاك[(٥)] عَشيرته فى شتاء شديد ، ناقتين دَهْماوَيْن، فنَحر لهم إحداهما وحَمَل متاعَهم وضُعفاءهم على الأُخرى ، وجَعل يَنْتقل

(١) يكنف لهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم فيها .
(٢) الهجمة من الإبل : من أربعين إلى سبعين ، أو إلى مائة . فإذا بلغت المائة ، فهى هنيدة.
(٣) الرأل : ولد النعام . وهدجانه : أن يمشى فى ارتعاش . شبه الشيخ به فى مشيته .
(٤) الهزل : الضعف ، وهو نقيض السمن .
(٥) الهلاك : الصعاليك .

بهم من مكان إلى مكان . فنَزل بموضع يقال له : ماوان[١] . فقيّض الله له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرَّ بها من حُقوق قومه ، وذلك أوّل ما ألبن الناسُ ، فقتله وأخذ إبلَه وأمرأته ، وكانت من أحسن الناس . فأتى بالإبل أهلَ الكنيف فحلَبها لهم وحمَلهم عليها ، حتى إذا دنَوْا من عَشيرتهم أقبل يقْسمها بينهم ، وأخذ مثلَ نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللاتِ والعُزّى ، لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً ، فمن شاء أخذها . فغَضب وجعل يَهُم بأن يَحمل عليهم فيقتلَهم ، وينتزعَ الإبلَ منهم ، ثم يذكر أنهم صنيعتهُ ، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يَصنع . فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يَرُدَّ عليهم الإبل إلّا راحلةً يحملُ عليها المرأةَ حتى يَلْحق بأهله . فأبَوْا ذلك عليه ، حتى أنتدبَ رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نَصيبه .

بين ثمامة والمنصور فى حديثه

وحُكى أن ثمامة بن الوليد دَخل على المنصور فقال : يا ثمامة ، أتحفظ حديثَ ابن عمك عُروة الصَّعاليك بن الوَرْد العبسيّ ؟ فقال : أى حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنَه . قال : حديثه مع الهذليّ الذى أخذ فرسه . قال : ما يحضُرنى ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين . فقال المنصور : خَرج عُروة حتّى دنا من مَنازل هُذيل ، وكان منها نحواً من ميلين ، وقد جاع ، فإذا هو بأرنب فرماها ، ثم أَوْرى ناراً فشَواها وأكلها ، ودَفن النار على مقدار ثلاثة أذرع ، وقد ذهب الليلُ وغارت النُّجوم . ثم أتى سَرْحةً[٢] فصَعدها وتخوّف الطَّلب . فلما تغيّب فيها إذا الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَياتَ[٣] . فجاءت منهم جماعةٌ ومعهم رجل على فَرس، فجاء حتى رَكز رُمْحه فى موضع النار وقال : لقد رأيتُ النار هاهنا . فنزل رجلٌ فحفر قَدْر ذراع فلم يجد شيئاً . فأكبَّ القومُ على الرَّجل يَعذُلونه ويَعيبون

(١) ماوان : قرية من أرض اليمامة .
(٢) السرحة : من الشجر الكبير العظيم الطويل .
(٣) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا دون ان يعلموا .

أمره ويقولون : عَنَّيتنا فى مثل هذه الليلة القَرَّة وزَعمت لنا شيئاً كذبتَ فيه ! فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النَّار فى موضع رُمْحى . فقالوا : ما رأيت شيئاً ، ولكنَّ تحَذْلُقك هو الذى حَملك على هذا ، وما نَعْجب إلّا لأنفسنا حيث أطعنا أمركَ واتَّبعناك . ولم يزالوا بالرجل حتى رَجع عن قوله لهم . واتَّبعهم عُروة ، حتى إذا وردوا منازلهم جاء عُروة فكَمن فى كِسْر[1] بيت ، وجاء الرجلُ إلى أمرأته وقد خالفه إليها عبدٌ أسود ، وعُروة ينظرُ ، فأتاها العبدُ بعُلْبة فيها لبن ، فقال : تشربين ؟ فقالت : لا ، أوْ تبدأ . فبدأ الأسودُ فشَرب . فقالت للرجل حين جاء : لعن الله صَلَفك[2] ! عنَّيت قومَك منذ الليلة . قال : لقد رأيتُ ناراً . ثم دعا بالعُلبة ليشرب ، فقال ، حين ذهب ليكرعَ : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة ! فقالت المرأة : وهذه أُخرى ، أىَّ ريحِ رجلٍ تجده فى إنائك غيرَ ريحك ! ثم صاحتْ . فجاء قومُها ، فأخبرتهم بخَبَره وقالت : يتّهمنى ويظُنّ بى الظُّنون . فأقبلوا عليه يلُومونه حتى رَجع عن قوله . قال عُروة : هذه ثانية . ثم أَوى الرجلُ إلى فراشه ، فَوثب عُروة إلى الفرس وهو يُريد أن يَذهب به ، فضرب الفرسُ بيده ونَخر . فرجع عُروة إلى موضعه . ووَثب الرجلُ ، فقال : ما كنت لتكذبنى[3] ، فمالك ؟ فأقبلت امرأتُه عليه لوماً وعَذلا . قال : فصَنع عروةُ ذلك ثلاثاً . ثم أوى إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم ، فقال : لا أقوم إليكَ الليلة . فأتاه عروةُ فجال[4] فى مَتْنه وخَرج ركضاً . وركب الرجل فرساً غيرَه أُنثى . قال عروةُ : فجعلتُ أسمعه خَلفى يقول : الِحَقى فإنك من نَسله . فلما أُنقطع عن البُيوت ، قال له عروة بن الَورد : أيها الرجل ، قِف ، إنك لو عرفتَنى لم تُقْدم علىّ ، أنا عروةُ ابن الورد ، وقد رأيتُ الليلةَ منك عجباً ، فأَخبرنى به وأَرُدُّ عليك فرسك . قال :

(١) كسر البيت : جانبه .

(٢) الصلف : مجاوزة الرجل قدرا الظرف وادعاؤه العجب والتكبر .

(٣) يريد الفرس . (٤) جال فى متنه : وثب وركب .

وما هو ؟ قال : جئتَ مع قومك حتى ركزت رُمحك فى مَوضع نار كنتُ أوقدتُها ، فتَثْنوك عن ذلك ، وقد صدقتَ ، ثم اتّبعتُك حتى دخلتَ منزلك و بينك و بين النار ميلان فأبصرتَها منهما . ثم شممتَ رائحةَ رجل فى إنائك ، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء ، وهو عبدك الأسودُ ، وأظنّ أن بينهما مالا تُحب . فقلتَ : ريح رجل ! فلم تزل تَثْنيك عن ذلك حتى اُنثنيت . ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه ، فاُضطرب وتحرّك ، فخرجتَ إليه ، ثم خرجتَ وخرجتَ ، ثم أضربتَ عنه . فرأيتُك فى هذه الخصال أكملَ الناس ولكنّك تَنْثني وتَرجع . فضحك وقال : ذاك لأخْوال السّوء ، والذى رأيتَ من[1] كَعَاعَتى فمن قِبل أخوالى ، وهم بَطن من خُزاعة . والمرأةُ التى رأيتَ عندى امرأةٌ منهم ، وأنا نازل فيهم ، فذلك الذى يَثنينى عن أشياء كثيرة، وأنا لاحقٌ بقومى وخارجٌ عن أخوالى هؤلاء ، ومُخَلٍّ سبيلَ هذه المرأة . ولولا ما رأيت من كعاعتى لم يَقْوَ على مناوأة قومى أحدٌ من العرب .

فقال عروة : خُذ فرسَك راشداً . فقال : ما كنتُ لآخذَه منك وعندى من نَسله جماعةٌ مثله . فخُذْه مُبارَكاً لك فيه .

قال ثمامة : إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرة ما سمعنا له بحديثٍ هو أظرف من هذا . فقال المنصور : أفلا أُحدِّثك له بحديث هو أظرفُ من هذا ؟ قال : بلَى يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديث إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره . قال :

خرج عُروة وأصحابُه حتى أتى مَاوانَ ، فنزل أصحابُهُ وكَنَف عليهم كَنيفاً من الشَّجر ، وهم أصحاب الكَنيف الذى سمعتَه قال فيهم :

ألَا إنّ أصحابَ الكَنيف وجدتُهم كما النّاسُ لمّا أَمرعوا وتَموّلُوا

(١) الكعاعة : الجبن والضعف .

وفى هذه الغَزاة يقول :

أقول لأصْحاب الـكَنيف ترَوّحوا عَشيّةَ بِتْنا حَول ماوانَ[١] رُزَّح

وفى هذه القصيدة يقول :

ليَبْلُغَ عُذراً أو يُصيبَ غَنيمةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذْرَهامِثْلُ مُنْجِح

ثم مَضى يَبْتغى لهم شيئاً وقد جُهِدوا ، فإذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وامرأة قد خَلا من سنِّها ، وشيخٍ كبير كالحِقَاء[٢] المُلْقَى. فكَمن فى كِسْر بيتٍ منها . وقد أجدب الناسُ ، فإذا هو فى البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْويّة — فقال ثُمامة : وما السُّحور ؟ قال : الُحلقوم بما فيه — والبيتُ خالٍ . فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومَيْن لا يأكل شيئاً ، فأشبعتْه وقَوِى ، وقال : لا أبالى مَن لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأةُ فظنّت أنّ الكلب أكلها ، فقالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ ! وطردتْه . فإنه لكذلك وإذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأرضَ ، وإذا هى تَلْتفت فَرَقاً . فعلم أنّ راعيَها شديدُ الضَّرب لها . فلما أتت المُناخَ بركتْ . ومكث الرّاعى قليلاً ثم أتى ناقةً منها ، فمَرَى[٣] أخلافَها ، ثم وضع العُلْبة على رُكْبتيه وحَلب حتى مَلأها ، ثم أتى الشيخَ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أُخرى ففعل بها ذلك . ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك ، فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجَع ناحيةً ، فقال الشيخُ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف تَريْن ابنى ؟ فقالت : ليس بابنك . قال : فابن مَنْ وَيْلك ؟ قالت : ابنُ عُروة بن الوَرْد . قال : ومن أين ؟ قالت : أتذكرين يومَ مَرَّ بنا ونحن نُريد سُوق ذى المَجاز ، فقلتَ : هذا عُروة ابن الوَرْد ، ووصفتَه لى بجَلَد ، فإنّى استطرفته[٤] . قال : فسكَت . حتى إذا نوّم

(١) رزح : جمع رازح ، وهو الهالك هزالا . (٢) الحقاء : الإزار .
(٣) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .
(٤) استطرفته : عددته طريفاً .

وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاُقتطع منها نحواً من النِّصف ومضى ، ورجا ألّا يَتْبعه الغُلام — وهو غلام حين بدا شاربه — فاتّبعه فَلحِقه . فعالجه فضَرب به الأرضَ فوقع قائماً . فتخوّفه على نفسه . ثم واثبه فضَرب به الأرضَ فبادره ، فقال : أنا عُروة بن الوَرد ، وهو يريد أن يُعْجِزه عن نَفسه . قال : فاُرتدع ثم قال : مالك ويلك ! لستُ أشك أنّك قد سمعتَ ما كان من أمى . قال : قلت : نعم . فاُذهب معى أنت وأُمك وهذه الإبل ودَع هذا الشَّيخ ، فإنه لا يَنهاك[1] عن شيء . فقال : الذى بَقِى من عُمر هذا الشيخ قليلٌ ، وأنا مُقيم معه ما بقى ، فإنّ له حقًّا وذِماماً ، فإذا هَلك فما أَسرعنى إليك ، وخُذ من هذه الإبل عيراً . قلت : لا يَكفينى ، إنّ معى أَصحابى قد خلَّفتُهم . قال : فاثنان . قلت : لا . قال : فثلاثة ، والله لا زِدْتُك على ذلك . فأخَذها ومضى إلى أصحابه . ثم إن الغلام لِحَق به بعد هَلاك الشيخ .

فقال ثُمامة : والله يا أمير المؤمنين ، لقد زيَّنته عندنا وعظَّمته فى قُلوبنا . قال : فهل أعقب عندكم ؟ قال : لا ، ولقد كُنا نَتشاءم بأبيه ، لأنّه هو الذى أوقع الحرب بين عَبْس وفَزارة بمُراهنته حُذيفة ، ولقد بلغنى أنه كان له ابنٌ أسنُّ من عُروة يُؤْثره على عُروة فيما يُعطيه ويُقرِّبه . فقيل له : أتُؤثر الأكبرَ مع غَنائه عنك على الأصغر مع ضَعْفه ! فقال : أترَوْن هذا الأَصغر ، لئن بقى مع ما أرى من شدّة نَفسه ليصيرنّ الأكبرُ عيالاً عليه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ عُروة ، هو :

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشد منه	إذا نظرتْ ومُستمعاً سَمِيعَا
أطاف بَغيِّه فعدلتُ عنه	وقلت له أرى أمراً فَظِيعا

---

(١) أى لا غناء فيه ، فلا ينهاك عن تطلب غيره .